جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جماليات الحوار في شعر ابن فركون الأندلسي دراسة إنشائية نقدية

Aesthetics of dialogue in the poetry of Ibn Farkun Al-Andalusi Critical constructivist study

إعداد

د. سعد بن حسن العاطفي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثاني- مايو)
(الجزء الأول (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

جماليات الحوار في شعر ابن فركون الأندلسي
دراسة إنشائية نقدية

سعد بن حسن العاطفي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *Salatifi87@gmail.com*

الملخص

يتناول هذا البحث جماليات الحوار في شعر ابن فركون الأندلسي؛ إذ يعد الحوار ظاهرة مهمة من ظواهر شعره، وموطناً من مواطن الشعرية فيه، فقد جعل الشاعر الحوار أسلوباً يستند عليه في مواضع عدة من شعره، حاملاً هذا الحوار الكثير من الجماليات التي يسعى البحث لسبر أغوارها، واستكناه مواقعها، وبيان وظائف الحوار، وتفسير ما جعل من هذه الجماليات في الحوار أثراً أدبياً يوثر في المتلقي، وقد خلص البحث إلى كون الحوار سبباً مهماً من أسباب جمالية الخطاب الشعري لدى الشاعر، وتقنية تتعدد الأساليب فيها من استفهام وأمر ونداء وغيرها، حاملة تلك الأساليب جماليات عدة كالتشويق والتوبيخ والنصح وغير ذلك، كما كشف البحث عن وظائف الحوار في شعر الشاعر التي تتحقق من خلال كشف نوايا الشخصية، وبناء الأحداث، والتنفيس عن ذات الشاعر المتضخمة.

الكلمات المفتاحية : جماليات الحوار، ابن فركون، دراسة إنشائية.

Aesthetics of dialogue in the poetry of Ibn Farkun Al-Andalusi Critical constructivist study

Saad bin Hassan Al-Atefi
Department of Arabic Language, College of Arts and Human Sciences, Taibah University in Medina, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: *Salatifi87@gmail.com*

Abstract:

This research discussed the aesthetics of dialogue in the poetry of Ibn Farkun Al-Andalusi. In his poems, dialogue is one of the main features; creating a distinguished poetic narrative. The poet used dialogue in several segments of his poems. Such dialogues contained many aesthetics, which this research sought to examine them; to identify the dialogic segments; to shed light on the functions of these dialogues; and to explain the aesthetics of these dialogues – especially their literary impact on the recipient. The research concluded that dialogue is an important tool for creating aesthetics in the poet's poetic discourse. The poet used many techniques for creating dialogue effect, including: inquiry, command, vocative expressions, and others. These techniques created several aesthetics, such as: suspense, rebuke, advice, and so on. Moreover, the research highlighted the functions of dialogue in his poetry, as it was used for revealing characters' intentions, constructing events, and venting the poet's inflated ego.

Keywords: *Aesthetics of dialogue, Ibn Farkun, a structural study.*

المقدمة

يعد التراث الأدبي في الأندلس غنياً وزاخراً، ومنجماً من مناجم الأدب العربي، وموطنًا من مواطن الإبداع الشعري، وقد تميز نتاجهم الشعري بعدد من السمات والظواهر، والخصائص الفنية التي تضفي على شعرهم أثراً فنياً، ومن الشعراء البارزين الذين اتسم شعرهم بسمات وأساليب عدة ابن فركون؛ إذ تجلى في شعره ظواهر لافتة، وملامح فنية، ومنها: ظاهرة الحوار في شعره؛ فهي من الأساليب والتقنيات التي يستعين بها الأديب في كثير من الأجناس الأدبية، ويمكن القول بأنها علامة بارزة من علامات شعره، وميزة ظاهرة من سمات خطابه الشعري أسهمت في بروز جماليات شعره، فضلًا عن قيمته الدرامية والسردية التي تتحقق من أركان الإرسال: المرسل والمرسل إليه والرسالة.

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع فهو يعود إلى:

١. بروز الحوار في شعره، وتعدد مواطن الشعرية فيه، والحاجة إلى تفسير جماليات عناصر السرد الشعري فيه.

٢. ضرورة تفسير اعتماد الشاعر على الحوار، وإيضاح سبب ذلك الاتكاء على الحوار دون غيره من عناصر السرد الشعري.

٣. تعدد موضوعات الحوار في شعره.

٤. تعدد أساليب الحوار الواردة في شعره.

ويهدف الموضوع إلى:

١. الكشف عن جماليات الحوار في شعره.

٢. إبراز أساليب الحوار في شعره.

٣. الكشف عن وظائف الحوار في شعر الشاعر.

وجاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، ففي **المقدمة** تقديم للموضوع وذكر أسباب اختياره وأهدافه التي يسعى للوصول إليها، وأبرز الدراسات السابقة عن الشاعر والموضوع، وفي **التمهيد** لمحة تتضمن تعريف الحوار وأهميته ووظائفه، ثم ترجمة موجزة للشاعر، وجاء **المبحث الأول** في أقسام الحوار في شعر الشاعر، وتناول **المبحث الثاني** وظائف الحوار في شعره، وفي **الخاتمة** بيان لأهم النتائج التي أظهرها البحث، والتوصيات التي يوصي بها الباحث.

منهج الدراسة:

سأتناول في هذه الدراسة جماليات الحوار، وأسباب شعرية الخطاب فيه، وسأدرسه بحسب المنهج الإنشائي الذي يسعى لمعرفة أسباب أدبية أو شعرية الحوار في شعر الشاعر، أو تتبع جماليات الحوار في شعره.

وقد ترجم (poetics) في الدراسات الحديثة إلى مصطلحات عدة كالشعرية والإنشائية والشاعرية وعلم الأدب والفن الإبداعي وغيرها[١].

والشعرية (مقاربة الأدب) لا تعني تناول العمل الأدبي في ذاته، وإنما تكريس الجهد لاستنطاق خصائص الخطاب الأدبي بوصفه تجلياً لبنية عامة لا يشكل فيها هذا الخطاب إلا ممكناً من ممكناتها... وهذه الخصائص هي التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي: الأدبية[٢].

---

(١) ينظر: مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٨.

(٢) ينظر: مفاهيم الشعرية،، ص١٧.

وكلمة (الإنشائية) "دالة على نظرية للأدب داخلية، أي نظرية تعرفنا بالظاهرة الأدبية، من حيث هي شكل مخصوص من أشكال الكلام، وإنتاج المعنى، لا باعتبارها نتاجاً لظروف نفسية أو اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو تاريخية"(١).

ولذلك فإن موضوع الشعرية هو الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثراً فنياً(٢).

الدراسات السابقة:

لم أجد _بحسب علمي وبحثي_ موضوعاً خاصاً يتناول الحوار في شعر ابن فركون، واستنطاق جمالياته، وقد وجدت من استعرض شعر الشاعر بصورة عامة، أو تناول خصيصة من خصائص شعره، ومن هذه الدراسات:

١. ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، هيئة أبو ظبي للثقافة والنشر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠٠٩م.

٢. المكونات الثقافية في شعر ابن فركون الاندلسي ٧٨١هـ، هاني العوفي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٣م.

٣. شعر التهاني في ديوان ابن فركون، قيم تاريخية، إيمان الجمل، مجلة كلية الدراسات بالإسكندرية، العدد ٣٢، الجزء٣، ٢٠١٦م.

٤. الصورة المثالية للممدوح في شعر ابن فركون، عبدالعظيم، أبو علي، مجلة الزهراء، ٢٠٢٠م.

٥. الحوار في الشعر الأندلسي عهدي الطوائف والمرابطين اختياراً، ستار جبار، مجلة آداب الكوفة، العدد٤٧، الجزء الأول، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

---

(١) معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٣.

(٢) قضايا الشعرية، جاكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨م، ص٢٤.

التمهيد

أولاً: مفهوم الحوار

الحوار لغة:

جاء في معجم "لسان العرب" الحَوْرُ: "الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء"(١)، وجاء في معجم الصحاح: "والمُحَاوَرَةُ: المُجاوَبَةُ. والتَحاوُرُ: التجاوُب"(٢).

وأما الحوار اصطلاحاً فيعرف بأنه: " تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، أو هو نمط متواصل، حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي... كما يستعمل بكثرة الجمل الاستجوابية (سؤال، جواب) والناقصة(حين تقاطع المتكلم) للمقاطع المأخوذة من المخاطب"(٣).

"وتعني الكلمة محادثة أو تجاذبا لأطراف الحديث، وهي تستتبع تبادلاً للآراء والأفكار، وتستعمل في الشعر والقصة القصيرة والروايات والتمثيليات لتصوير الشخصيات، ودفع الفعل إلى الأمام"(٤).

---

(١) معجم لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) الصحاح في اللغة، الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م، ص٧٨.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين، صفاقس، د.ط، ١٩٨٦م، ص١٤٨_١٤٩.

ويختلف الحوار بمعناه الاصطلاحي عن الحوار بوصفه صياغة فنية "فالحوار الأدبي وإن بدا في الظاهر حواراً بين شخصيتين فهو في حقيقة الأمر غير محصور في هذا المدى المنظور، وإنما يمر عابراً إلى المتلقي الذي يكون بمثابة الشخص الثالث غير المرئي... وهو الذي يجعل من دائرة الكلام دائرة مفتوحة غير منغلقة"(١).

ويسهم الحوار في البناء؛ فهو يوظف للإبانة عن المواقف، ومنطق الشخصيات(٢).

ويترك الحوار على النص الشعري تأثيرًا، فيترك للطرف الآخر التعبير، ولذلك فإن سر التأثير للحوار يعود إلى التجاذب والتنافر بين الأصوات المتنافرة؛ إذ تبين لنا أبعاد الموقف، وتتضح لنا صورته(٣).

وأما ما يتعلق بسمات الحوار في الشعر فتختلف عن سمات الحوار في الرواية والمسرحية "فهو في الشعر يتسم بالتكثيف والاختزال والدلالات الجمالية، ما يسهم في بناء النص من حيث الترابط بين أجزائه ومقاطعه"(٤).

---

(١) الحوار القصصي، تقنياته وعلاقته السردية، فاتح عبدالسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص١٤.

(٢) ينظر: معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٦٥. وينظر: معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١/٦٥.

(٣) ينظر: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، د.ت، ص٢٩٩.

(٤) أساليب الحوار في شعر ابن الوردي، عبدالوتوات، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني، العدد الثامن، ٢٠١٧م، ص٤١.

ثانياً: ترجمة موجزة للشاعر:

هو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هشام القرشي المعروف بابن فركون[١]، ووالده أبو جعفر أحمد بن فركون أحد تلاميذ ابن الخطيب[٢].

وأما لقب فُركون فيبدو أنه مؤلف من (فرك) والثاني(ون) وهو مظهر من مظاهر التأثير الإسباني على اللغة العربية، ويدل ذلك في الإسباني على التعظيم[٣].

ورجح محقق الديوان ولادة ابن فركون سنة ٧٨١هـ مستنداً إلى هذه الأبيات:

ومن بعد ما مرتْ ثلاثونَ حجة وسبعٌ يرام الأنس أو يتوهمُ

يقول: "وبالاستناد إلى هذه الأبيات التي أشار فيها إلى شبابه الذي بعد سبع وثلاثين حجة فإن هذا الرقم ٣٧ مطروحاً من الرقم ٨١٨هـ وهو عام نظم القصيدة ينتج عنه الرقم ٧٨١هـ وهو العام الذي ولد فيه على الراجح"[٤].

ولم يثبت في المصادر سبب وفاته؛ فقد أشار أحد الباحثين إلى أنه قد قتل في غرناطة وقت الاضطرابات، أو أنه بقي في غرناطة معتزلاً السياسة والناس، أو أنه رحل عن غرناطة إلى المغرب مع من رحل عنها[٥].

---

(١) ديوان ابن فركون تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص٩. ولم أجد من ترجم له في كتب التراجم الأدبية، وقد اعتمد محقق ديوانه على ديوان الشاعر "مظهر النور الباصر".

(٢) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف طويل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، ص٩٢.

(٣) ينظر: ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، هيئة أبو ظبي للثقافة والنشر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠٠٩م، ص٣٧.

(٤) ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، ص٣٩.

(٥) ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، ص٤٣.

ويعد ابن فركون شاعر الملك يوسف الثالث إلى أن توفي" الملك يوسف الثالث عام (٨٢٠هـ) وكان ابن فركون قد بلغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً"[١].

وقد برز ابن فركون في أغراض شعرية عدة، نحو: المديح، والشعر السياسي، والوصف، والغزل وغيرها[٢].

(١) ديوان ابن فركون، ص٣٨٤هـ، وينظر: ابن فركون شاعر غرناطة، ص٤٣.

(٢) ينظر: ابن فركون، شاعر غرناطة، ص٤٧.

المبحث الأول:

أقسام الحوار

أولاً: الحوار الخارجي:

يقوم الأسلوب المباشر أو الخارجي في الحوار بنقل الراوي كلام الشخصيات نقلًا حرفيًّا دون تدخل منه إلى القارئ(١).

وتجلى الحوار الخارجي في شعر ابن فركون، وأسهم في بناء النص الشعري، وتشكيله.

ويعد الأسلوب المباشر في الحوار بارزًا في شعر الشاعر؛ إذ يقوم الراوي بنقل كلام الشخصيات نقلًا حرفيًّا دون تدخل منه إلى القارئ(٢). ويلحظ في النص التالي ظهور صيغ الحوار الخارجي بصورة واضحة يقول:

وعاذلٍ راعني أنْ بت ذا قلقٍ ... أسائلُ الشهبَ عن ليلى وأرعاها

فقال مالكَ والشهبان أرقبها ... فقلتُ فيهنَ منها خلتُ أشباها

فقال قد أتلفت منك الفؤاد أسى ... فقلت إن أتلفته فهو مثواها

فقال قد همت من بعد السلو بها ... فقلت همت بمغناها لمغناها

فقال هلْ لكَ في أحْلى سنىً وحُلاً ... فقلتُ دعْ غايَةً أبْعَدتَ مَرْماها

فقال لي غادةٌ تُنْسيكَ بهجَتَها ... فقلتُ مهلاً فإني لستُ أنساها

---

(١) ينظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقته السردية، ص٤١.

(٢) ينظر: تحليل النص السردي، محمد بو عزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١١٨.

فقــال غاديــةٌ للفِكْــرِ قــد نشــأتْ فقــلتُ ما أحْوجَ الظّامي لسُقْيــاها

فقال أهْداكَها مَن عزَّ مُشْبِهُهُ فقلــتُ للهِ هــادٍ منْــهُ أهْــداها

فقــال مــنْ بحْــرِهِ ألْقــى بهــا دُرَراً فقلْــتُ أبْــدَعَها نظْمــاً وأبْــداها

فقالَ قدْ كانتِ الآدابُ عاطِلَةً فقلْتُ هذا الذي بالسّحْرِ حَلّاها[1]

في هذا النص الشعري الذي يبرز فيه الحوار الخارجي بروزاً لافتاً عن طريق صيغ القول: (قال، قلت) فهي سمة جلية من سمات هذا النص بكثرة استخدامه؛ فقد أحدث فيه الحوار فاعلية في تكثيف الأحداث المترابطة مع بعضها البعض من جهة، وأداة استعان بها الشاعر في التعبير عن رؤاه المتعددة من جهة أخرى.

وتظهر إشارة الشاعر قبل هذا المشهد القصصي للعاذل الذي كان سبباً في حدوث الحوار الخارجي، وذكر الشاعر إياه أسهم في معرفة المتلقي الطرف الآخر الذي يحاور الشاعر، بالإضافة إلى الدلالة التي يتضمنها العاذل في التراث الأدبي؛ إذ تتقاطع دلالة العاذل وتتقارب وتتشابه إلى حد ما مع الجاهل والحاسد واللائم والرقيب والواشي؛ ما أدى إلى تصور مبدئي عن مضمون الحوار دون الاطلاع عليه، والتوقف على أجزائه المتنوعة في النص؛ وبخاصة أن هذا النص يتوجد فيه الشاعر من واقعه، ويحن إلى نجد، وأطلالها، ويشتاق في نصه إلى من تسببت في معرفته الحب ولواعجه؛ فالابتداء بذكر العاذل أبان عن نيته في حواره من حيث عدم الرغبة في سعادة الشاعر، والإكثار من لومه بغية إفساد اللحظة التي يعيشها الشاعر، كما أن ذكره العاذل أسهم في تعزيز موقف الشاعر أمام المتلقي الذي سيدرك بأن الشاعر سيتعامل مع العاذل بما يصب في مصلحة الشاعر، وتجربته الشعورية.

(١) ديوان ابن فركون، ص١٨٧_١٨٨.

ويلحظ في بداية الحوار سؤال العاذل الشاعر سؤالاً اعتيادياً حول سبب نظره لهذه الشهب في أعلى السماء، ويبدو أن هذا السؤال الاعتيادي تمهيد من العاذل؛ لكي يتقبل الشاعر الحوار القادم بما فيه من أسئلة متعددة من جهة، وترتيب منطقي بتسلسل الأحداث بداية من الأسئلة المنطقية التي كانت السبب الرئيس افي هذا الحوار من جهة أخرى. ويتجلى جواب الشاعر في حواره مع العاذل بالإجابة الصريحة التي تبين سبب هذه النظرة، وهي وجود تشابه بين هذه الشهب المحبوبة، ولعل الإضاءة في كليهما من أوجه التشابه التي لم يصرح بها الشاعر تاركاً للمتلقي التأويل في أوجه الشبه.

ويستمر الحوار في البيت التالي؛ فيخبر العاذل بأن هذه النظرة وما يتعلق بها ستعرض الشاعر المزيد من الحزن الذي سيسيطر على قلبه، وفي المقابل نجد أن الشاعر يجيب إجابة سريعة توحي برغبة الشاعر تفنيد ما يشير إليه العاذل بإجابة مترابطة مع سؤال الشاعر؛ إذ يجيبه بعدم مبالاته بما أشار إليه العاذل حول تلف قلبه الذي سببته هذه المحبوبة؛ فهي مستقرة في قلب الشاعر.

وفي البيت التالي يتخذ العاذل الطريقة نفسها بعد عدم اقتناع الشاعر، فيسأله عن جدوى الوقوف على الأطلال في شعره؛ إذ يرى هذا السائل عدم جدوى الوقوف بها، فجيبه الشاعر بالطريقة نفسها التي تقوم على الإيجاز والإجابة الصريحة بأن أي مكان لهذه المحبوبة يعد جميلاً بالنسبة إليه.

ويكمل العاذل حواره مع ابن فركون، محاولاً في الوقت ذاته الحصول على أي سبب لتخريب الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، فيسأله عن وجود عادة من المحتمل أن تغير الصورة الجميلة لمن يتأمله الشاعر، فيجيبه الشاعر بالطريقة التي اتخذها طريقة له في هذا الحوار، وهي الإجابة الصريحة الموجزة التي تصوب ما

يدور في ذهن الطرف الآخر؛ إذ يجيب عنه بالنفي المطلق (لست) والتوكيد(إنَّ) والمفعول المطلق (مهلاً) للفعل المحذوف (تمهل) المطلق في عدم نسيانها أبدًا.

ويظل الحوار مستمراً بينهما على هذا النسق في محاولة العاذل إيجاد مدخل على الشاعر عن طريق السؤال، محاولاً إقناع ابن فركون بترك محبوبته، ولكن ما نجده هنا إجابة الشاعر على كل تساؤل بإجابات تفند ما يروم إليه هذا العاذل في إفساد علاقته مع محبوبته؛ حتى ينتهي الحوار الخارجي بإشارة الشاعر أن من يحبه هو كالسحر الذي استطاع أن يجعل الآداب ذات جمال بعد خمولها.

ويلحظ في نهاية المشهد القصصي انتقاء الحبكة التي تتضمن أحداثاً متتابعة ومترابطة مع بعضها البعض، فالإيماء من العاذل إلى الآداب التي تشكل موضوعاً مهما لدى الشاعر؛ وبخاصة بعد تعرضها للجمود، فهو أديب وشاعر، وربط الشاعر إلى محبوبته التي يتطرق إليها في قصيدته، وجعلها مترابطة مع الآداب التي عادت إلى أهميتها ورونقها بعد أن ارتبطت بهذه المحبوبة. ما يعني أن نهاية هذا المشهد الدرامي كانت منتقاة في اختيار عنصر الآداب وتوظيف المحبوبة في خدمتها، وأسهمت في جمالية الحوار في هذا النص. ويقول:

ورُبَّ لائِمةٍ تُلقي المَلامَ علَى حُبِّ الـــتي ودُّها طبْعٌ ومُكْتَسَبُ

قالتْ لا هِمْتَ منْ بعدِ السّلوِّ فقلتُ كُـــلُّ فتًى قد هزّهُ الطّربُ

قالتْ تمتّعْ ببِدْعٍ من محاسِنها فقلتُ قد سُدِلَتْ من دونِها الحُبُ

قالتْ أتَخفَى عن الأبصارِ بهْجَتُها فقلتُ هيْاتَ نورُ الشّمسِ يحْتَجِبُ

قالـتْ فمـا تتمنّـى بعْـد رؤيتِهـا فقلتُ لـمْ يبْقَ لـي فـي غيْرِها أرَبُ

قالتْ لما أنتَ بالأوْصافِ ذو كَفٍ فقلْتُ وصْفُ حُلاها للرِّضى سبَبُ

قالت فراسِل إذا عزّ اللقاءُ وصِفْ فقُلْتُ لـيسَ تَفـي الأقـلامُ والكتُـبُ

قالـتْ فمالَـك إلا الطّيـفُ ترقُبُـهُ فقلتُ مَن لي به والنّوْمُ مُسْتَلَبُ[1]

يسلك ابن فركون المسلك نفسه في الحوار التالي، وذلك في اختيار شخصية منتقاة تحاوره، وهي اللائمة، وأفاد استخدام (ربَّ) السخرية من اللائمة، وتوقع حدوث الفعل منها؛ إذ تبدأ الحوار بالسؤال التعجبي الذي يتضمن التعجب من تعلق الشاعر بهذه المحبوبة بعد هجرانها، فيجيب الشاعر إجابة منطقية عن طريق التعميم(كل) بأن أثر الطرب غير خاف، وتأثيره على الفتى كبير، ويستمر الحوار على هذه الطريقة؛ إذ تستعين اللائمة بأدوات الاستفهام بأغراض مختلفة كالتعجب كما ذكرت آنفا، أو الاستفهام الذي يحتمل معنى السخرية في قولها: (أتخفى عن الأبصار بهجتها) موحية هذه العبارة سخرية اللائمة التي لا ترى بهجة محبوبة الشاعر، وأنها ستختفي عن الأبصار ذات يوم فيقر الشاعر بذلك، وهو أن جمال هذه المحبوبة قد يغيب عن الأبصار، لكن الذي سوغ لهذه الإجابة المقنعة، وجعلها مقبولة، وأثر الخطاب الشعري جمالياً أن نور الشمس الذي يعادل موضوعياً جمال هذه المحبوبة يختفي تارة ويعود تارة أخرى مع بقاء الأثر، فلا يوجد حينئذ أي غرابة في ذلك، أو استخدام أفعال الأمر نحو:(راسلْ) إذ تطلب منه اللائمة كتابة رسالة لمن يحبه في

(١) ديوان ابن فركون، ص ٣٨_٤٠

حاله صعوبة اللقاء؛ فيجيب الشاعر إجابة تظهر مدى التعلق الشديد بها من جهة، والإجابة الكاملة حول تساؤل اللائمة من جهة أخرى، وهي تتعلق بأن الاقلام والكتب لا تستطيع وصفها؛ دلالة على عدم جدوى الكتابة فيها. ويختم الحوار بتهكم اللائمة في عدم لقاء الشاعر بمن يحب، ولا سبيل إلا مراقبة الطيف كل ليلة فحسب، فيقر الشاعر بأنه سيراقب الطيف الذي يزوره ويذكره بمن يحب.

وفي هذا الحوار نجد أن الشاعر يوافق في بعض الأحيان ما تشير إليه اللائمة، ويقر بما تلمح إليه من تحقيق الشاعر وصاله، وغياب المحبوبة عن الأعين أحياناً، ولكن ما تميز به الحوار هنا فاعليته في تسويغ الشاعر هذه الإجابات، وجعلها مستساغة ومقبولة؛ إذ أسهم الحوار في إثراء هذا المشهد القصصي، وإبراز رؤية الشاعر تجاه هذه المحبوبة رغم عدم بلوغه مراده من الوصال ووصف حسنها، ومن هنا تتجلى جماليات الحوار. ويقول:

وعَـذولٍ جَفـا وللقَلـبِ وجْـدٌ جمْـرُهُ فـي جَـوانِحي مَشْـبوبُ
قـال لـي أيَّ مطْلَـبٍ تبْتَغيـهِ قلـتُ حـالِي مَـدامِعٌ ونَحيـبُ
قـال دعْهـا وسَـلِّ قلبَـكَ عنْهـا قلـتُ هَـلّا للعاشـقين قُلـوبُ
قـال نقّلْـهُ سـاعةً عـنْ هَواهـا قلـتُ مـا فيـهِ للوجـودِ نَصـيبُ
قـال قـد عـذّبَت كَ هجْـراً وصـدّاً قلـتُ فيهـا يُسْـتَعْذَبُ التعْـذيبُ
قـال لـي قـد تمنّـع العطْفُ منْهـا قلتُ مهْلاً فالعِطْفُ منها رَطيبُ
قـال هـلْ يُقْنِـعُ المشـوقَ خيـالٌ قلـتُ لـوْلا أنّ الخَيـالَ كَـذوبُ
قـال مـاذا جَـــفا فؤادَك منها قلتُ سهْمُ اللّحاظِ وهْوَ مُصيبُ
قـال هَلْ طـابَ بعدَها كَ عيشٌ قلـتُ دون الوِصالِ كيفَ يَطيـبُ
قـال هـ حـالَ منـكَ بالبُعْدِ حالٌ قلـتُ حـالِي مَـدامِعٌ ونَحيـبُ

قـال هـل تنقَـعُ الـدموعُ غَـليلاً قلتُ طيَّ الضّلوعِ منْها لَهيبُ

قـالَ مـا رقّ منْـكَ بعْـدَ نَـواه قلتُ جسْمٌ وأدْمُعٌ ونَسيبُ[1]

في الأبيات السابقة يستخدم الطريقة السابقة في الحوار، من حيث اختيار الشخصية نفسها، واستعانة الطرف الأول(العاذل) في الحوار بالاستفهام وأفعال الأمر والجمل الخبرية، وإجابة الشاعر بالإجابات التي تتسم بالإيجاز، ولا تقبل التأويل، بمعنى أنها ذات وضوح، وتنهي فضول المحاور، ومن الأبيات التي يتجلى فيها الاستفهام في الحوار قوله:

وعَـذولٍ جَفـا وللقَلْـبِ وجْـدٌ جمْـرُهُ فـي جَـوانِحي مَشْـبوبُ

قـال لـي أيَّ مطْلَـبٍ تبْتَغيـهِ قلـتُ حـالِي مَـدامِعٌ ونَحيـبُ

قـال دعْهـا وسَـلِّ قلبَـكَ عنْهـا قلـتُ هَـلّا للعاشـقين قُلـوبُ

قـال نقّلْـهُ سـاعةً عـنْ هَواهـا قلـتُ مـا فيـهِ للوجودِ نَصيبُ[2]

فيلحظ بدءاً السؤال عن مطالب الشاعر التي قد تكون متعددة، لكن إجابة الشاعر تخالف المتوقع؛ إذ ليس لديه طلب بعد معرفته إياها، ومن هنا تبرز جماليات الحوار في إجابة الشاعر التي تخالف أفق انتظار المتلقي، والاكتفاء بها فحسب. ومن الأبيات أيضاً التي يظهر فيها أثر الحوار الخارجي في الإبانة عن حالة الشاعر الشعورية، وتكثيف الأحداث قوله:

قال هَلْ طابَ بعدَها لكَ عيشٌ قلتُ دون الوِصالِ كفَ يَـطيبُ

قال هل حالَ منكَ بالبُعْدِ حالٌ قلـتُ حـالِي مَـدامِعٌ ونَحيـبُ

---

(١) ديوان ابن فركون، ص١٤٠.

(٢) ديوان ابن فركون، ص١٤٠.

قـال هـل تنقَـعُ الـدموعُ غَلـيلاً قلتُ طـيَّ الضّلوعِ منْها لَهيبُ[١]

ويظهـر هنـا اسـتخدام الشـاعر بعـض الإجابـات التـي لا تتسـم بالمباشـرة، إلـى أساليب أدبية تبين عن عظم أثر غياب من يهواه الشاعر لديه، ومن ذلك إجابتـه فـي حواره في قوله:

قال هَلْ طابَ بعدَها لكَ يشٌ قلتُ دون الوِصالِ كيفَ يَطيبُ[٢]

فلم يجب هنا بالإجابة المعتادة إثباتاً أو نفياً، بل استخدم الاستفهام نفسه؛ للدلالـة علـى نفـي العيش بعد هذه المحبوبـة، بمعنـى لـن يطيب عيشـه بعد وصالها. ويجيـب عن تسـاؤل العـاذل الـذي يـرى بـأن الـدموع لـيس فيهـا فائـدة، فتكـون إجابـة الشـاعر بصـورة غير مباشرة بـأن الإبقـاء علـى هذه الـدموع أقوى أثراً من خروجهـا، فحرارة الحزن في ضلوعه تحتم عليه الدمع والبكاء.

ثانياً: الحوار الداخلي

يعرف الحوار الداخلي بأنه: "ضرب من المونـولج الداخلي يظهر فـي النصوص والمقاطع السردية بضمير المخاطب، ويتميز بإقامة وضع تلفظي مشترك بين المتكلم والمخاطـب دون أن يحـدث تبـادل كـلام بينهمـا"[٣]. ومـن مزايـا المونـولج أو الحـوار الـداخلي إضـفاء الطـابع الـدرامي علـى الشخصـية؛ إذ يتنحـى السـارد جانبـاً، فيتـرك

(١) ديوان ابن فركون، ص١٤٠.

(٢) ديوان ابن فركون، ص١٤٠.

(٣) معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص١٦١.

للشخصية ذاتها التعبير عما تبديه من مشاعر وأحاسيس وأفكار وهواجس[1]. ومن شواهد الحوار الداخلي في شعر ابن فركون قوله:

ألاَ حـــدّثاني باللقـــاءِ ياخليليّـــا ولا توســـعَا وعـــدي مطـــالًا وليّـــا

ألـم تعلمَـا أنـي علـى القـربِ والنـوى أحـــافظُ ذاكَ العهـــدَ رغيًـــا لـــه رغيـــا

وأنـــيّ لا أســـلو وإنـــيّ بعـــدَ المـــدى وإنْ أكثـــرَ الواشـــونَ لا أقبـــلُ الوشـــيا[2]

يتبدى الحوار الداخلي بصورة واضحة عن طريق ياء النداء، وطلبه من خليليه الحديث، وترك المماطلة في الوعود التي تؤذي الشاعر في الحقيقة، ويتضح أن الشاعر يقدم بعد هذا الحوار عددًا من التضحيات التي يسوقها هنا؛ لأجل محافظة خليليه بما لديهما من روابط وثيقة؛ وتظهر جماليات النص أيضًا من خلال سؤاله خليليه سؤالاً يتضمن الإثبات والتقرير بأنه في حالتي قربهما منه وبعهدهما عنه؛ فإنه لا يتخلى عن هذه العلاقة المتينة، مستعيناً بالتكرار (رغيًا) التي تشير إلى معنى البكاء؛ دلالة على حرصه على هذا الموثق الذي بينهما، وشدة تعلقه به. ولذلك فإن التكرار هنا أكد ما يريد الشاعر ذكره في هذا النص، وإيصاله إلى المتلقي.

ويستمر في الإخبار عن تضحية أخرى، وهي ترك الاهتمام بأقوال الوشاة الذين يريدون له الشر، ويضمرون لعلاقته السوء؛ وكثرة الوشاة أدعى للتأثير بالشاعر ومع ذلك؛ فهو لا يهجر خليليه مهما بعدوا عنه مؤكدًا ذلك عن طريق الاداة (أنَّ). ويقول:

---

(١) ينظر: بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص١٨٣.

(٢) ديوان ابن فركون، ص ١٩٧.

هلْ بعد طولِ تغربي وفـراقي أرجو اللقـــــاءَ ولات حينَ تلاقي

لما رحلتُ عن المنازلِ لم يزلْ سكنى الغرامُ بقلـــــبي الخفـاق[١]

يحاول الشاعر هنا في هذا البيتين التعبير عن مكنون نفسه، والبوح بما تخفيه من أحزان، ويبدأ بأداة الاستفهام التي تعاضد دلالتها الأساسية الاستفهامية مع التشويق؛ إذ يتساءل الشاعر عن رجائه اللقاء بعد فراقه الأحباب والأصحاب، وتغربه عنهم، ولذلك ليس من المؤكد معرفة إجابة الشاعر، والإقرار بما يريد التعبير عنه، فقد يحتمل أن تكون الإجابة عدم رغبته اللقاء، وتركه أواصر الوصال؛ وبخاصة بعد أن نفى وجود اللقاء حينئذ(لات حين تلاقي)، ولكن الشاعر أثبت عن طريق الحوار الداخلي أن فراق الديار والأشخاص عن الأعين لا يعني مفارقة ودهم ومحبتهم؛ فلايزال قلبه حافظًا هذه المشاعر. ويؤكد ذلك في ختام قصيدته:

مـــاذا أقـــولُ وطـــولُ كتبـــي لا يفـــي بحديثِ ما عندي من الأشـــواقِ

وكتمتُ ما أهل الهوى نطقـــــــوا به . إلا قليلاً ضاقَ عنهُ نطاقي[٢]

إذ يبين أن كثرة تعبيره تجاه هذه المرآة ليس مفيداً، لعدم قدرته _رغم إمكانيته البيانية_ على إفصاح ما لديه من الأشواق. ويقول:

أتُرَى الخِلُّ إذْ نـأَى أوصى بِـي كيفَ شاءَ الهَوى إلـى أوْصابي

طالَمـا بـتُّ أشـتَكي نـارَ شـوْقِي وهْيَ شكْوَى جوىً بغيْرِ جَوابِ[٣]

(١) ديوان ابن فركون، ص١٤٣.

(٢) ديوان ابن فركون، ص١٤٣

(٣) ديوان ابن فركون، ص١٤٧.

يحاور الشاعر نفسه حوارًا داخليًّا في هذا النص، ويتجلى هنا أثر الحزن العميق فيه؛ ولذلك يظهر هنا اتخاذه الحوار مع نفسه وسيلة للتعبير عن حزنه، ويخاطب الشاعر نفسه عن طريق السؤال(أترى) مستعيناً في الوقت ذاته بالبناء للمجهول (ترى) ولعل رغبة الشاعر في تهويل الموقف، وجعل (الخل) نائب فاعل، بعد أن كان مفعولاً به؛ إذ لا يرغب في التصريح بانه يقوم بهذه الرؤية؛ نظراً لصعوبة تحمله الموقف الذي يعيشه في لحظة قوله القصيدة. ويبدي الشاعر هنا عن طريق السؤال تعجبه من الهوى الذي يميل إليه، ويستغرب من أن الهوى يؤدي إلى هذه المتاعب التي لا يتحملها الشاعر. ويظهر هنا الجناس في الكلمتين(أوصى بي؛ أوصابي) محدثة أثراً للمتلقي من حيث البون الكبير بين المعنيين؛ إذ توحي الكلمة الأولى بعض المعاني التي تراعي حالة الشاعر الشعورية، من حيث عناية هذه المرأة به، وتوحي الكلمة الثانية بخلاف ذلك إلى أن الهوى الذي وقع فيه الشاعر سبب له كثيراً من الشقاء.

ويستمر الشاعر في حوار نفسه، ويشير إلى أن الشوق يعد نارًا في نظره، بالإضافة إلى أن الشكوى التي يحتاجها لبث همومه وأحزانه ليست ذات فائدة، لكونه لا يجد من يجيب عن شكواه، فاجتمع عنده حينئذ مشكلتان، هما: نار شوقه التي لا يحتملها، وعدم وجود من يستقبل شكواه، ويهتم لها. ويقول:

ما لقلبي يصبو ودمعي يصوبُ عندما بانَ منزل وحبيبُ

ترك الوجدُ في فؤادي بقايا عند ذكراك في الدموعِ تذوبُ[1]

في هذين البيتين يتبين حوار الشاعر مع الذات، ومخاطبته إياه، ويظهر الحزن في سؤال ذاته عن قلبه الذي يتوجد ويشتاق(يصبو) وانسكاب دمعه، ونلحظ فاعلية

(١) ديوان ابن فركون، ص١٤١.

الجناس، وأثره في إيصال المضمون في سياقه، وما يرغب الشاعر إيصاله من حيث التلاؤم بين القيمة الصوتية والدلالية. ويقول:

ليتَ شعري متى يعودُ زمانٌ قد تقضى بوصلنا ويؤوبُ

أينَ ليلى نعمتُ فيه بليلى وعلينا من النجومِ رقيبُ[١]

في هذين البيتين يلحظ توجد الشاعر، وحنيته لأيامه التي انقضت، ولذلك يتجلى الحوار الداخلي عن طريق حوار الشاعر نفسه (ليت شعري) وتمنيه عودة أيام صباه وشوقه، ونجد أن التضاد(يعود، يؤوب) أثرى البيت من حيث إبراز الفجوة التي أحدثها الفراغ بين هذين الزمنين، إذ يلحظ مقدار الشوق الواضح، والحنين الظاهر لدى الشاعر؛ للعودة إلى الوصال. ويسأل نفسه في البيت التالي عن هذه المرأة التي مال إليها في الزمن الماضي سؤالاً تعجبياً يبين مقدار حبه لها، مع وجود الوشاة والرقباء الذي شابهوا النجوم في اطلاعها على الناس، وكأنهم يريدون تخريب ما بينهما، وإفساد علاقتهما. ويقول:

يا وحيدَ الندى وقطبَ المعالي زاحمَ الشهبُ مرتقاك العالي

لحت كالشمسِ بهجة وعلاء في اقترابِ السنا وبعدَ المنالِ

والذي حزتَ يقصر الوصف عنه من جميلِ الحلا وغر الخلالِ[٢]

في هذه الأبيات يستحضر الشاعر ياء النداء، ويستعين بها في حواره الداخلي لمخاطبة ممدوحه، والتعبير عن مضامين الثناء التي أشار إليها في ثنايا القصيدة، وتبرز جماليات الحوار الداخلي هنا في قصر الكرم على هذا الممدوح، بالإضافة إلى

---

(١) ديوان ابن فركون، ص١٤٠.

(٢) ديوان ابن فركون، ص١٩٧.

أنه احد الأركان المهمة بالنسبة لمعالي الأمور، ولذلك فإن هذه الصفات في منظور الشاعر جعلت مكانة الممدوح عالية حتى زاحم الشهب التي تستقر في الأصل في الأعلى؛ دلالة على أن صفات الممدوح أسهمت في رفعتها إياه، ونجد أن بين (المعالي والعالي) نوعاً من التشابه؛ أحدث نوعاً من لفت الانتباه لدى المتلقي؛ إذ بين هذين اللفظين تقارب واضح في المبنى والمعنى، فكلاهما يدلان على الشيء العالي مكانة وقدراً، وجاء التشبيه دالاً في البيت التالي على ذلك فالممدوح مشابه للشمس في ظهوره المؤثر على الناس، وفي علو شأنه ومكانته، ونجد أن التضاد بين الاقتراب والبعد أبرز قدرة الممدوح على حصوله ما لا يصعب حصوله، وصعوبة حصول غيره هذه المزية. ويقول:

أحبابنَا هلْ لنا بعدَ النوى طمعُ في القربِ أو هل زمان الأنسِ يرتجعُ
إذا تـذكرتُ مـا بينـي وبينـكُمُ يكـادُ قلبـي مـن ذكـراهُ ينصـدعُ[1]

يتضح الحوار الداخلي هنا من خلال النداء بالأداة المحذوفة(أحبابنا) والاستفهام(هل)، وأسهم النداء في تنبيه وتوجيه الحديث للمخاطب، كما أضفى السؤال هنا على الحوار الداخلي حيوية وإثارة للمتلقي من خلال البحث عما يوحيه الشاعر عن طريق السؤال؛ ولذلك نجد أن الحسرة ظهرت بجلاء في هذا السؤال عندما يرى أن الطمع في وصال من يحبهم أثناء بعدهم لا يجدي؛ فالسائل هنا يبدي حسرته من واقعه الحزين؛ ولذلك كان البيت التالي دالاً على مقدار عمق الحزن؛ إذ يشبه قلبه بالشيء الذي يتعرض للصدع من أرض أو جدار أو غيرها؛ إشارة إلى احتمال حدوث أثر كبير في قلبه حال تذكره لأيامه التي يشتاق إليها مع أحبابه، واختياره القلب له دلالته المهمة في كونه عضوًا مهمًا من أعضاء الإنسان من جهة، وفي

(١) ديوان ابن فركون، ص ١٤٣.

ظهور بعض مظاهر المشاعر في القلب كالخوف والحب وغير ذلك من جهة أخرى. وبعد هذا العرض يتبين موقف الشاعر من خلال الحوار بالنداء والاستفهام؛ إذ أسهما في التعبير عما يكتمه الشاعر من مشاعر الحزن والأسى. ويقول:

خليليَّ هل أبصرتما عاشقًا مثلي يحنُّ كما حنَّ الغريبُ إلى الأهلِ

ألـمْ تعلمَـا أنـي تملكنـي الهـوى فواللهِ ما أمسي بغيرِ الهوى شغلي[١]

يبرز الحوار الداخلي هنا بعد استعانة الشاعر بالنداء في بداية الخطاب، ثم استخدام الاستفهام، وأسهم الحوار الداخلي في إبراز مقدار حبه الكبير إلى أهله، وحنينه إليهم، فالنداء جعل الحديث موجهاً إلى من يرى الشاعر ارتباطه بالفكرة التي يشير إليها، كما أن الاستفهام أظهر التشويق والإثبات معاً في الإخبار عن تعلقه بالهوى واشتياقه لأهله. ويقول:

خليليا كفا عن ملامة هائمٍ مسامعُهُ لم تصغَ يوما إلى العذلِ[٢] [٣]

يبرز الحوار الداخلي عن طريق استخدام النداء وفعل الأمر، فقد أفاد النداء تنبيه المخاطبين إلى أهمية الحديث، وتوجيهه إليهما، واستعانته بفعل الأمر كان ملائماً ومفيداً لكون المقام في هذا البيت مقام زجر وتوجيه لهذين الخليلين في ترك اللوم غير المقبول؛ إذ طلب منهما ترك اللوم غير المحمود لمن قدم لهما الحب والعشق، وفي الوقت ذاته لم يجعل للوشاية سبيلًا في حبه؛ دلالة على صدقه وشدة حرصه على التمسك بهما. ويقول:

---

(١) ديوان ابن فركون، ص ١٤٨.

(٢) ديوان ابن فركون، ص ١٤٨.

(٣) ديوان ابن فركون، ص ١٤٨.

أيُّها العاذلـــــونَ كفّـــوا فإني لم أجدْ للسلوّ عنهم سبيـــلا

يا نسيمَ الصبا أزلْ عن فؤادي خللَ الوجدِ نتخذكَ خليلا[1]

ويطالب في الأبيات التالية من العاذلين تركه، وينادي نسيم التي تهب من جهة الشرق، ويطلب منها إزالة كل ما يعكر حبه، فمن صفات هذه الريح أنها طيبة، تحمل إلى النفوس السرور، فلا يهبُّ هبوبها في شدة الحر ولا تجود بهوائها في شدة البرد، فمناداته إياها، وطلب الأمر منها؛ نظراً لتأثيرها البالغ على النفس تحديداً، وارتياحه لها، واقتناع منه بإزالتها كل ما يقف في طريق حبه، ويحضر التناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا﴾[2] ويبدو أن رغبة الشاعر هي اتخاذ نسيم الصبا صديقًا وملازمًا له؛ إذ إن الغرض من فعل الأمر (أزل) جاء على سبيل الالتماس لتقديم للشاعر العون والمساعد.

(١) ديوان ابن فركون، ص ٤٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية٢٨.

المبحث الثاني:

وظائف الحوار:

أسهم الحوار في شعر ابن فركون في إبراز بعض الوظائف التي أثرت خطابه الشعري، ويمكن حصرها في ثلاث وظائف، هما: كشف دوافع ونوايا الشخصية، وبيان الأحداث، والتنفيس عن الذات المتضخمة.

أولاً: كشف دوافع ونوايا الشخصية:

يعد بناء الشخصية من أبرز الوظائف التي حققها الحوار في شعر ابن فركون، ولا يعدم القارئ أثره في شعر ابن فركون، وتوظيفه في حواره الشعري، ويمكن أن نقسم الشخصيات في حوار ابن فركون الشعري ثلاث شخصيات:

شخصية المتكلم:

أبان الشاعر عن شخصيته بصورة واضحة؛ إذ تبرز شخصية المحب الوفي الذي يخبر عن حبه من جهة، وما يتحمله ويقاسيه من مصاعب ومتاعب من جهة أخرى، يقول:

زعمَ العــواذلُ أنْ قلبي عاشقٌ صدقوا ولكــنْ لا يريـــــــدُ سواها

قالوا تناستْ عهدَ ودِكَ إذ نأت عنهـــــــا الركابُ وأنتَ لا تنساهـا

فأجبتُ كفوا لستُ أسمعُ عذلكم أو مـــاعلمتـــمْ أنـــني أهـواهـــا

كم بت أسهرُ قائلًا يا ليتها لو أنهـــا سمـــحتْ بيـــوم لقاهـــا[1]

(١) ديوان ابن فركون، ص٥٥.

يلحظ من خلال هذه الأبيات ظهور شخصية المتكلم بصورة واضحة من خلال ياء المتكلم(قلبي، أنني) وتاء الفاعل للمتكلم(أجبتُ، لستُ، بتُ) فتعاضد هذه الأفعال أبان عن شخصية المتكلم الذي يرغب في تأكيد وفائه وحبه للمخاطب أولاً، وتأكيد حبه للمحبوبة من تقديم السهر الدال على الوفاء وبقاء ذكرى المحبوبة في ذهنه للغائب ثانيًا. ونلحظ مظهرًا آخر من مظاهر إنشائية الحوار في الخطاب؛ إذ يبدو التدرج في إثبات صدق الشاعر لمحبوبة وللعواذل، وفيما يلي هذا الجدول الذي يكشف ذلك:

شخصية المخاطب(العواذل)	شخصية المتكلم(الشاعر)
الزعم بعشق قلبه.	إثبات الشاعر ذلك العشق، وتوجيهه لشخص واحد.
الإشارة إلى تناسيها ود الشاعر.	التصريح بعدم الاهتمام لكلام العواذل.
الإشارة إلى عدم نسيان الشاعر المحبوبة.	السهر مقابل اللقاء بها.

شخصية العاذل/المخاطَب:

تعد شخصية العاذل من الشخصيات التي تكررت مرات عدة، وتوجه إليها الشاعر في حواره، فالمتأمل يجد حضورها في نصوص الشاعر، وإظهار ما تكنه من نوايا خفية غير ظاهرة لإفساد علاقة الشاعر بمن يحبه، ولذلك وصف الشاعر في بداية النص لمن يتحاور معه بالعاذل إشارة للمتلقي بكشف دوافع الشخصية التي لا تناسب الشاعر، ولا تلائم رغباته، وتتعارض مع مطالبه؛ فمن سمات شخصية العاذل

التخفي، وعدم التصريح بما تريد، ولذلك جاءت الإشارة والوصف بالعاذل في بداية النصوص؛ حتى يتفهم المتلقي مغزى هذه الشخصية. ويتبين من خلال البيت التالي مقدار معرفة الشاعر بفحوى ما يرومه العاذلون عن طريق الطلب بفعل الأمر (كفوا) الذي يتضمن الأمر بترك ما ينشده الشاعر يقول:

أيها العاذلون كفوا فإني لم أجد للسلو عنهم سبيلا[١]

وأسهم الاستفهام في بناء شخصية العاذل، وكشف نواياه، فمن خلال وصف الشاعر للمخاطب بالعاذل الذي يعني لوم الشاعر على فعل فعله، بالإضافة إلى إجابات الشاعر التي توحي بعدم تقبله السؤال تتبين منزلة الشخصية عند الشاعر، ورغبة الشاعر في مفارقتها، ويتضح من خلال الأبيات التالية تتبع اللائمة لأفعال الشاعر، وكأن الشاعر يوحي أن أسئلة اللائمة تتصف بغياب الهدف من ورائها عدا رغبة إلقاء اللوم على الشاعر، والتنغيص عليه، فمما يلحظ هنا سؤال اللائمة للشاعر عن سبب هيامه بعد ترك الشاعر محبوبته، ما يشير إلى تعلق الشاعر بمحبوبته، ومعرفة اللائمة الإجابة من قبل. ومن شواهد ذلك قوله:

ورُبَّ لائِمةٍ تُلقي المَلامَ علَى حُبِّ التي ودُّها طبْعٌ ومُكْتَسَبُ
قالتْ لما هِمْتَ منْ بعدِ السّلوِّ فقلتُ كُلُّ فتًى قد هزّهُ الطّربُ
قالتْ تمتّعْ ببِدْعٍ من محاسِنِها فقلتُ قد سُدِلَتْ من دونِها الحُبُ
قالتْ أتَخفَى عن الأبصارِ بهْجَتُها فقلتُ هيْهاتَ نورُ الشّمسِ يحْتَجِبُ
قالتْ فما تتمنّى بعْد رؤيتِها فقلتُ لمْ يبْقَ لي في غيْرِها أرَبُ[٢]

(١) ديوان ابن فركون، ص ٤٨.
(٢) ديوان ابن فركون، ص ٣٨_٤٠

الحوار مع المخاطَب/ النفس:

يعد حوار الشاعر مع نفسه، ومخاطبته إياها من أبرز أنواع الحوار في شعر ابن فركون، وقد اتكأ الشاعر على هذا النوع نتيجة الصراع الناشئ بينه وبين نفسه، وبلوغه مرحلة متقدمة من مراحل الصراع مع الواقع، وبناء على هذا يمكن تبيان الوظيفة التي انطوت من خلال حواره مع نفسه؛ إذ يمكن القول بأن مخاطبة النفس أسهم إسهامًا واضحاً في كشف المخاطب/ النفس، وبيان أهميتها، وإبراز أثرها في تخفيف صراع الشاعر عن طريق حوارها يقول:

ماذا أقولُ وطولُ كتبي لا يفي بحديثِ ما عندي من الأشواقِ

وكتمتُ ما أهلُ الهوى نطقوا به إلا قليلاً ضاقَ عنه نطاقـــي[1]

ثانياً: بناء الأحداث

يعد الحدث من العناصر الذي يعتمد على السرد "فالحدث هو الذي تدور حولة القصة، ويعد العنصر الرئيسي فيها؛ إذ يعتمد عليه في تنمية الموقف وتحريك الشخصيات"[2].

وأسهم الحوار في بناء الأحداث في النص الشعري، وأصبح عنصراً مهماً مكوناً للأحداث التي أشار إليها ابن فركون، واتخذ من الاستفهام أداة مؤثرة في بناء الأحداث كقوله:

قالتْ تمتّعْ ببِدْعٍ من محاسِنها فقلتُ قد سُدِلَتْ من دونِها الحُجبُ

قالتْ أتَخفَى عن الأبصارِ بهْجَتُها فقلتُ هيْهاتَ نورُ الشّمسِ يحْتَجِبُ

---

(١) ديوان ابن فركون، ص ١٤٢.

(٢) القصة والرواية، عزيزة مريدين، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٨٠م، ص٢٥.

قالـتْ فمـا تتمنّـى بعْـد رؤيتِهـا فقلتُ لمْ يبْقَ لي فـي غيْرِها أرَبُ[١]

فنلحظ أن الاستفهام عنصر مؤثر في إبراز الحدث وتجاوز فكرة الحصول على إجابة إلى محاولة فتح حوار مع تفاصيل النص نفسه: حجب نور الشمس، عدم وجود حاجة للشاعر بعد رؤية المحبوبة، وقوع الرضا للشاعر بعد وصف المحبوبة. ويبرز الاستفهام هنا في تبيين الأحداث يقول:

ألا يامشوقًا يمّمَ الربعَ والمعنى هنيئًا فوجه الحسنِ حياكَ بالحسنى

وهـل شـغفي بالبـانِ إلا لأنـهُ بـه شبه ممن كلفتُ بها معنى[٢]

يؤدي الاستفهام هنا غرضًا تقريريًا في إثبات كلفه بمن يحب، وتعليل حبه للغصن تعليلاً مجازياً لمشابهة قدها بالغصن بجامع التمايل.

ويبدو من خلال البيتين الآتيين الأحداث الناشئة من الحوار نحو: التعذيب من خلال الهجر والصد، واستعذاب التعذيب واستطابته بعد ذلك، وغضاضة العطف منها في نظر الشاعر بعد أن تمنعت منه، ويشير ذلك أن الشاعر لا يلقي أي اهتمام مقابل تشويه صورة المحبوبة بالنسبة إليه، بل يوجه رسالة للعاذل تتضمن أن ما يصدر من المحبوبة من أفعال تسبب الهجر والصد، فإن رد فعل الشاعر عدم الجزاء بالمثل، بل استطابة الفعل، وقطع أي محاولة تسعى إلى إفساد العلاقة في قوله:

قـال نقّلْـهُ سـاعةً عـنْ هَواهـا قلـتُ مـا فيـهِ للوجـودِ نَصـيبُ

---

(١) ديوان ابن فركون، ص ٣٨_٤٠

(٢) ديوان ابن فركون، ص ٢١.

ثالثاً: التنفيس عن الذات المتضخمة

يعد التنفيس عن الذات المتضخمة وظيفة مهمة من وظائف الحوار لدى الشاعر، وغدا عنصرًا فاعلًا في الترويح عما يكنه الشاعر في داخله، ويتجلى التنفيس عند الشاعر من خلال فتح مسالك للوصال مع المحبوبة، ومد جسور التواصل بينهما عن طريق تقنية الحوار الذي قام بدوره بنقل مشاعر الشاعر من حال الكتابة إلى البوح المختلط بلواعج الحب من خلال استخدام فعل التحاور والقول/ قال_ قالت_ قلت.

الخاتمة:

تناول هذا البحث جماليات الحوار في شعر ابن فركون، وبعد الوقوف على شعره تجلت لنا عدد من النتائج المهمة التي أبرزت جمالية الحوار في شعر ابن فركون، وفيما يلي أبرز النتائج التي تم الكشف عنها:

_ شغل الحوار مساحة مهمة في شعر الشاعر، وغدا تقنية مهمة من تقنيات شعرية الخطاب في شعر ابن فركون.

_استعانة الشاعر بأكثر من أسلوب في الحوار الداخلي كياء النداء، والاستفهام والأمر، والتمني، وأسهمت الأدوات الأسلوبية في إبراز جماليات الحوار الداخلي للحوار.

_بروز الحوار الخارجي بروزاً لافتاً عن طريق العبارات الدالة عليه.

_تعدد إيماء الشاعر لشخصية العاذل في حواره إياه، وهذه الإشارة لهذه الشخصية أبانت عن رغبة الشاعر في الوقوف على هذه الشخصية، وكشف مضامين خطابها الذي يتعارض مع مضامين خطاب الشاعر.

_أسهم الحوار بقسميه الخارجي والداخلي في كشف نوايا الشاعر، وإظهار عواطفه المشحونة؛ إذ كان للحوار أثره البارز في عرض رؤية الشاعر بصورة عامة فيه. بالإضافة إلى كونه عنصراً مهماً في تبيين الاحداث.

وأوصي الدراسين والباحثين والمهتمين بالأدب الأندلسي البحث في جماليات الخطاب لدى الكثير من الشعراء المغمورين الذي لم يحظ شعرهم بالدراسة والبحث.

المصادر والمراجع

١-ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، هيئة أبو ظبي للثقافة والنشر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠٠٩م.

٢-الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف طويل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ

٣-أساليب الحوار في شعر ابن الوردي، عبدالوتوات، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني، العدد الثامن، ٢٠١٧م.

٤-بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م. القصة والرواية، عزيزة مريدين، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٨٠م.

٥-تحليل النص السردي، محمد بو عزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦-الحوار القصصي تقنياته وعلاقته السردية، فاتح عبدالسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٧-الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، د.ت.

٨-الصحاح في اللغة، الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٩-معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

١٠-معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.

١١-معجم لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢-معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٣-معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٤-مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

Sources and References:

Al-Ḥiwār al-qiṣaṣī tqnyāth wa-‘alāqatuhu al-sardīyah, Fātiḥ ‘Abdussalām.

Al-qiṣṣah wa-al-riwāyah, ‘Azīzah mrydyn, Dār al-Fikr, Damascus, 1980.

Al-Shi‘r al-‘Arabī al-mu‘āṣir qaḍāyāhu wa-ẓawāhiruhu al-fannīyah wa-al-ma‘nawīyah,‘Izz al-Dīn Ismā‘īl, Dār al-Fikr al-‘Arabī, Cairo, 3rd edition, n.d.

al-Ṣiḥāḥ fī al-lughah, al-Jawharī. Edited by: Aḥmad ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Beirut, 4th edition, 1407 AH/1987.

alhiwar alqasasiu tiqniaatih waealaqatuh alsardiatu, falih eabdalsalami, almuasasat alearabiat lildirasat walnushri, bayrut, ta1, 1999m.

Asālīb al-Ḥiwār fī shi‘r Ibn al-Wardī, ‘bdālwtwāt, Scientific Journal of the College of Education, Misrata University, Libya, Second Volume, Eighth Issue, 2017.

Binyat al-naṣṣ al-riwā’ī, Ibrāhīm Khalīl, al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm, Beirut, 1st edition, 2010.

al'iihatat fi 'akhbar ghirnatat, lisan aldiyn bin alkhutayb, tahqiq tawila: yusif, dar alkutub aleilmiati, ta1, 2003m/1424h.

Ibn Furkūn al-Andalusī shā‘ir Gharnāṭah, Qāsim al-Qaḥṭānī, Abu Dhabi Authority for Culture and Publishing, 1st edition, 1439 AH/2009.

Mu‘jam al-muṣṭalaḥāt al-adabīyah, Sa‘īd ‘Allūsh, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Beirut, Suchpress, Casablanca, 1st edition, 1985.

Mu‘jam al-Sardīyāt, a collection of authors, Dar Muhammad Ali, Tunisia, 1st edition, 2010 AD.

Mu‘jam Lisān al-‘Arab, Ibn manẓūr, Dār Ṣādir, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.

Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-adab, Majdī Wahbah, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Cairo, N.edt, 1428 AH/2007.

Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-adab, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Cairo, N.edt, 1428 AH/2007.

Mafahim shieriatun, hasan nazim, almarkaz althaqafiu alearabia, bayrut, ta1, 1994m.